

المشقة

اسواق العرب أيام الجاهلية

لجناب الاديب الملقب بمسعود شكري القدي الأوسي* احد افاضل علماء المسلمين في بلاد

كان للعرب اسواق يقيمونها في شهور السنة ويشتغلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من الآثر والفاخر منها: (دومة الجندل) كثيرا يقرئونها اول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والاعاذ والبطاء. وكانت البادية فيه بيع الحصاة. وهو من بيع الجاهلية التي اهلها الاسلام. وفسر بان يقول احد الثباين للآخر: ارم هذه الحصاة فلي ابي ثوب وقتت فهو لك بدرهم. وفسر بان يبيع من ارضه قدر ما انتهت اليه رمية الحصاة. وفسر بان قبض على كفتير من حصي ويقول: لي بعدد ما خرّج في القبة من الشيء البيع او يبيع سلعة وقبض على كفتير من الحصى ويقول لي بكل حصاة درهم. وفسر بان يمسك احدهما حصاة في يده ويقول: اي وقت سقطت الحصاة وجب البيع. وفسر بان يقياما ويقول احدهما: اذا نبئت اليك الحصاة فقد وجب البيع. وفسر بان يقبض القطيع من القم فيأخذ حصاة ويقول: اي شاة اصابتها فهي لك مكفأ. وهذه الصور كلها قاعدة لا تتضمن من آكل المال بالباطل ومن التردد والخطر الذي هو شبه بالقياس ولذلك اهلها الشريعة. وكان أكيده صاحب دومة الجندل يبيع للثلاث ويقوم باسرهام اول يوم فتقوم سرقهم الى نصف الشهر. وربما غلب على السوق بنو كلب فيمشونهم ويثربو اسرهام يومئذ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سرقهم الى آخر الشهر ومنها: (سوق حجر) ببيع الماء والحليب اسم لجميع ارض الصحران ومن المثل: كبضيم تفر الى حجر. وتقول عمرو بن الخطاب رضى عمنه لثامر هجر. كأنه اولاد لكثرة وبأوا او لركوب الحجر. ومنه هذا الاسم بلد باليمن منه وبين عثر يوم ولية. مدكر مصروف وقد

يؤت والنبه فجري وعاجري. والسوق الوضع الأول كانوا يقتلون إليها في شهر ربيع الآخر فتقوم سوقهم يا. وكان يشومهم ويؤتلى امرهم للشد بن ساري احد بني عبد الله ابن دارم

ومنها: (سوق غمار) كثراب ذكر في القاموس انها بلد باين. ويصرف. وكشداد بلد بالشام ولم يذكر السوق الذي كان سوقا. وهو في لوز البجرين كانوا يرتحلون من سوق حجر فتقوم يا سوقهم الى اواخر جمادى الاولى

ومنها: (سوق الشتر) كعظم حصن بالبجرين كان فيه سوق للعرب تقوم من اول جمادى الاخرى وكان يعمهم باللامسة والاياء والمهبة وخوف الحلف والكذب. والمهبة الكلام الخفي. وكل صوت ماء ينجح. ويبيع اللامسة على اوجبه وهي ان يؤتى بشوب مطوي او في ظلة فيلبس السنام فيقول له صاحب الثوب: يشتكك بكنا بشرط ان يترد لكسك مقام ظرك ولا خيار لك اذا رأته. الوجه الثاني: ان يحملوا نفس اللبس يما يغير صيته زائدة. الوجه الثالث: ان يحملوا اللبس شرطا في قطع خيار المجلس وغيره. وهو ايضا من السوق التي ابطالها الاسلام كبيع التلبذة. وهو ان يحملوا نفس البذ ويا كما تقدم في اللامسة. او ان يحملوا البذ يما يغير صيته. او ان يحملوا البذ قاطعا لخيار

ومنها: (سوق صخار) بضم الصاد الهبة تقوم لشتر يصفين من رجب القرد خمسة أيام. ومنها: (سوق الشحر) بفتح شم تكون ساحل البجيرين عمان وعند تقوم في النصف من شعبان. وكان يعمهم في هذه السوق ايضا برمي الحساء وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل

ومنها: (سوق عدو أبن) كانوا يرتحلون من الشحر فيقولون هذا الوضع. وعند جزيرة في اليمن اقام يا أبن فلبت اليه فتقوم سوقهم يا الى ايام من رمضان فتشقى القبايات والرواح الطيب. ومنها: (سوق صفاء) كانوا اذا ارتحلوا من عدن والشحر تقوم سوقهم بصفا. في النصف من شهر رمضان الى آخره. وصفا. من اطيب بلاد اليمن. ومنها: كان يجلب الأدم والبزود. وكانت تجلب إليها من معان وهو بلد كان في اليمن. ومنها: (سوق حضر موت) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة. يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منها يحضر سوقا اخرى تقوم في هذه الايام ايضا سيأتي ذكرها

ومنها: (سوق ذي الحجاز) كانت بلحية مرة الى جنبها. وعند الاندلس من

هناك ابن الكلبي أنها كانت لمذيل علي فرسخ من عرة . وروى هنا صاحب الصحاح قائلاً قال نيسابور : ذر الحجاز موضع يعني كان في سوق في الجاهلية . لا ورواه الطبراني من مجاهد : أنهم كانوا لا يبيعون ولا يشترون في الجاهلية بركة ولا بيني ومنها : (سوقُ بَجْدَة) بفتح اللام وكسرهما موضع قرب مكة وهو الذي عناء بلال رَضَ بقلبه مشوقاً إليه بعد الهجرة :

وعل أردن يوماً مياه بَجْدَة وهل يدون لي شاة وطليل

كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج . ويحضرها كثير من قبائل العرب . ومنها : (سوق حَبَاثَة) يضم أسماء الهمة وتخفيف الموحدة وبعد الألف شين معجمة . كانت في ديار بارق نحو ثَمَرَة بفتح التاء ويضم التون الحقيقية وبعد التون ألف مقصورة من مكة إلى جعة اليمن ولم تكن من مواسم الحج . وإنما كانت تُقام في شهر رجب . ومنها : (سوقُ عُسْكَاطِر) يضم الهمة وتخفيف الكاف وآخره طاء معجمة بالصرف وعدمه . قال النجاشي : بالصرف لأهل الحجاز وعدمه لثمة قيم . وهو موسم معروف للعرب بل كان من اعظم مواسمهم واسواقهم . وهو يخل في ديار بين ثَمَّة والطائف وهو إلى الطائف اقرب ينشأ عشرة ايام . وهو دواء قرن المنازل بركة من طريق صنعاء اليمن . وكان المكان الذي يجتمعون فيه منه يقال له الأثيداء . وكانت هناك صخور يطوفون حولها وكانوا يجامعون فيها ويتمتعون ويتناثرون ويتحاربون . وتشتد الشراء ما تجدده لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم . كقول حسان :

سأشتر ان حيث لهم كلاماً يُنشر في الجاهل من عسكاظ

وهيها كان يجلب كل خيل مصنع . ومنهم من ساعد الألباني إذ خطب خطبة الشهيدة هناك وهو على جبل الأردني . وفيها طقت القمامة السبع الشهيدة احتكراً بخاصتها على من يحضر الموسم من شراء القبائل إلى غير ذلك . وكان كل شريف لها يحضر سوق بلده أو سوق عسكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل جهة . فكان يأتيها قريش وعمران وسليم والاحابيش وقبيل والصطلي وطوائف من العرب . ومن كان له أسيد سبي في فداه . ومن كانت له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة . وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق أناس من بني تميم وكان احدهم الأقرع بن حابس . ولما كانت هذه السوق يجتمع القبائل قال طرف بن تميم النخعي :

أو كلها وردت مكافأ قية بشوا إلى عريضهم يتوسم
تحتوي أني أنا ذليصكم شاك سلاسي في الموائد تليكم
تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة زحف ترة السيف وهو مثلم
حولي أسيد والمجيب وملز وإذا حلت فحول يتي خضم
ولكل بكسري لدي عداوة وابر ربيعة شاك ومعلم

وطريف هذا كان من مشاعير شجيمان العرب وفرسانهم. قتل مرة وجلا من بني
شيان. ثم حضر ذلك الموسم فاسمن فيه النظر بعض اقارب ذلك القتل فسأله طريف
عن السبب فقال: اريد ان تعرفك قلبي اصادفك يوماً لاقتك او تقتلني. فالتفت طريف
تلك الايات. وقد صادف ذلك الرجل طريفاً في يوم من ايامهم قتله واخذ منه ثأراً قريباً
وكانت بمكافأ وقائع مرة بعد مرة وذلك يقول دويد بن الصمة:

تميت عن يوتي مكافأ كليها وان يك يوم ثالث القتب
وان يك يوم رابع لا امكن وان يك يوم خامس القتب

وذكر ابو عبيدة أنه كان بمكافأ اربعة ايام. يوم شطة ويوم البلاء. ويوم شرب
ويوم الحمية وهي كلها من مكافأ قال: « فشطمة » من مكافأ هو الموضع الذي
زلت فيه قريش وحلفائهما من بني كنانة بعد يوم غنمة. وهو اول يوم اقتتلوا فيه من ايام
الحمية تجول على ما توافقت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وقيهم. فصعد يوم
شطمة لموازن على كنانة وقريش. ولم يقتل من قريش احد يذكر واعتزل بكر بن عبد
مناة بن كنانة الى جبل يقال له دشم فلم يقتل منهم احد. وقال خدش بن زهير:

فابح ان يلت و هشام وعبد الله أبلغ والوليد
بأن يوم شطة قد أنسا عمود الدين ان لا عموداً

ثم التفت للاعياء المذكورين على رأس الحول من يوم شطة « بالبلاء. » الى جنب
مكافأ فكان لموازن ايضاً على قريش وكنانة. قال خدش بن زهير:

ألم ياتكم أنا بدعنا لدى البلاء خدش باليام
ضربناهم يعطن مكافأ حتى تولوا طالعين من التجار

ثم التوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم غنمة « بشرب » وشرب من مكافأ.
ولم يكن بينهم يوم اعظم منه لحظقت قريش وحسنانة وقد كان تقدم لموازن عليهم

يرمان . ويؤيد ابو سفيان وحرب ابنا أبيه وابو سفيان بن حرب انفسهم . وقالوا لا يرح منا رجل مكانة حتى يموت او يظفر . فانهمزت هوازن وقيس كلها الا بني نصر فانها صبت مع ثقيف . وذلك ان عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال فلم يثنوا شيئا ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلًا ذريعًا . قال أبيه بن اسكر الشكابي :

ألا سائل هوازن يوم لا تورا فوالس من مكانة مُملِكينا
لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فلوغب في النغير بنو اينا

وقال :

قومي للذو بمكاظ طيورا شرًا من درس قومك ضربًا بالصاقيل

ثم التفتوا على رأس المول « بالمرزة » وهي حرة الى جنب عكاظ ثم يلي مهب جنوبها . فكان لموازن على قرين مكانة . وكانت تقوم هذه السوق في قول أول ذي القعدة الى عشرين سنة ثم يتوجهون الى مكة فيقتنون بهرقت ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى اوطانهم . وفي قول آخر أنهم كانوا يقيسون به جميع شوال الى غير ذلك من الاقوال المختلفة ولعل ذلك لاختلاف العادة في السنين او لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الرسم . والذي عليه صاحب قبائل العرب انهم كانوا يقيسون في هذه السوق من نصف ذي القعدة الى آخره فإذا أقبل ذو الحجة اتوا ذا الحجاز وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقة الى القروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة سمي يوم القروية لأنهم كانوا يترقبون فيه من الماء لا يسد . او لأن يومهم عليه السلام كان يتردى ويشكر في رذيله فيه . وفي التاسع عرف وفي العاشر اشبل . ثم يصيرون الى منى وتقوم السوق فطاة بجنيد وطاة عين او حصن بجنيد . (سوق حمر) بفتح الهاء وسكون اللام يوم عاشوراء . الى آخر الحرم . ولم تزل هذه الاسواق قائمة في الإسلام الى ان كثر أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن خروج الجوارح المرورية بمكة مع اختار بن عوف سنة سبع وعشرين ومائة فنهروها فتركت الى الآن . واتخذت سوقًا بعد القيل بخمس عشرة سنة . وكان أكثر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى البجلي في سنة سبع وتسعين ومائة . والله اعلم بختات الأمور

قائمة في اسواق العرب

الحقا بالقائمة السابقة حضرة الاب انتاس البغدادي الكردي

كل من تكلم عن اسواق العرب. انفضى عن مسألة ذات شأن وبإله وعجب. وهي كيف كان يمكن للتاطنين بالضاد بل وباحسن الالتاظ. ان يشهدوا سوق مكناظ. التي تقوم فيها المسابقات والمنازعات. والمنازعات والفاكرات. على سائر مسوقة. بين الاكابر والسوقة. وليس فيهم وازع يزعمهم. او وادع يزعمهم. مع ما هم عليه من الحدة والاستتار. وطلب الانتقام بالبلد او البلد. وبالاخص لما كانت الحرب عندهم لا تنفع اوزارها على مدى السنة. بل ولا تحرف ثوباً ولا ينة. اذ إنها ان لم تكن في هذا البطن او في هذه القية. فهي في ذلك القخذ او تلك القية. وان هذه البطن والقبل. لا تخاف الترائل. فهي اما متعلقة مع القاتل الظلم او المجهول. واما متعلقة مع اهل القبول. فكيف اذا يمكن لأصحاب الطرفين ان يجتمعوا سوياً. بدون ان يجيش في انفسهم تلك الرمال التوتية. الدانة السواد فيهم. السلطة كل السلطة عليهم. كيف مثلاً كان يمكن للبطل المطلب بدم ابيه. او ابنه او اخيه. ان يلاقي عدوه في تلك السوق. ويبقى امامه كالرجل الوثوق. بدون يراك. او يراك. بل ربنا تاكل منة. وسية. بل ربنا ايضا سمع الشاء على عدوه. لا اثم من الاعمال فزاد في علوه وسوره. ولعله قبل ذلك. قش على قتلوه بهيكة من الهالك. فذهبت اثماته ادراج الرياح. لا بل جاءت له بالحسار بدون شيء من الازياح. واليوم يصادفه ولا تعرض له كانه عابز او جبان. مع ان قتله واجب عليه في مدة محدودة من الزمان. ولا يند من احسن العظام. او من الافراد اللام.

فكان اذا غول دم العرب من عروقهم. في هذا موسم تلك مسئلة تباركاً كأنها أضد من ذائب الضب. حتى على من أوتوا الباهة من قرأ. هذه الجلة من عجم او عرب. مع ان اهل الجالعية. قد وقفوا الى حلها بما نشئة من الادلة الجلية:

ان القرمان كلوا يتجرون خشية سوء السبي والشاهد على ذلك ما جاء في حرواني «تهذيب الالتاظ» (الصفحة ١٧١) (١) ما نصه: «كانت القرمان في الجالعية

(١) عذوب الالتاظ هو الكتاب القيس لآين السكيت الذي اتخذا من طبعه منذ عهد قريب في

عند اجتماع الناس يحفظ في وقت الحظ يتعجبون ثلاً يعرف من قد اصاب من النداء .
فأق (طريف ابن عيم السندري) سوق مكاف فرأى قوماً ينظرون بوجهه وكان من مقدمي
القران حفر اللثام وقال ابياتاً منها هذا . . . (راجع ص ٨٦٨) »

٢ اما في انشاد الشعر وارتجاله او ما كان من هذا القبيل في اطلب الأحيان ما
كان يسمع صوت الخطيب او الشاعر اذا كان ممن يخاف الفضيحة بل كان يصل كلامه الى
القوم بواسطة رجل يسمى المبلغ يقف بجانب الخطيب او الشاعر ويكرر المحذور ما كان
يقفه آياه صاحبه . غير ان هاتين العادتين ما كانتا تجريان دائماً بل كانتا تختلفان لانها
بذاتهما ما كانتا تمنعان سوء التقى . فكان لجاهلية واسطة اخرى لمنع استهزاء الشر
وتفاديه وهي التي ذكرها الاصبهاني في كتاب الاغاني (المجلد الرابع ص ٢٥٥) قال :

٣ « وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها الى ابن جدعان حتي يفرغوا
من أسواقهم وحجهم . ثم يردها عليهم اذا ظعنوا وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال . » . ا . هـ .
وربما كان قبل ابن جدعان فيره وغيره جرياً على العادة التي أجروها بحري السنة